المقاصد المشتركة
بين سور "آل حم"
وتفرداتها

بقلم
د. خالد بن علي بن عبدان الغامدي
وكيل كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى
مكة المشرفة

المقدمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، وأصلي وأسلم على عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، وآله وأصحابه ومن على نهجه سار واقتفى..

أما بعد:-

فإن الحياة شاقة ومجهدة، ولا يجد العبد السائر فيها أفضل من كلام الله معينًا وحاديًا، فبه تطيب الحياة، وترتفع الروح، وتزكو النفوس، ويتحمل العبد المشاق والشدائد، ولذلك كان القرآن أجل نعم الله الخاصة على عباده، وهو أولاها بالفرح والسرور كما قال ﷻ : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨]، أي: بالقرآن الذي هو فضل الله ورحمته فليفرحوا فإنه خير وأزكى مما يجمعون.

وهذا القرآن العظيم أشبه ما يكون بالرياض الناضرة، والواحات المخضرة في طريق سفر العبد إلى الله تعالى والدار الآخرة، فكلما قطع العبد مرحلة من سفره أشرف على روضة غناء من رياض القرآن، وواحة معشبة فرتع فيها، وتزود منها، فالقرآن نعم الزاد في سفر العبد إلى ربه ﷻ، ومن هذه الرياض المثمرة سور آلحمٓ، التي هي بحق من أجمل روضات جنات القرآن، كما سيتضح معنا، فعقدت العزم على اجتناء ثمارها، وإبراز مفاخرها، مستعينًا بالله، فكتبت في ذلك بحثًا أرجو به الأجر والثواب من الله، ثم بيان شيء من فضائل هذه الروضة الربانية، وما فيها من أسرار وحكم وعظات، وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، ثم ثبت المراجع والفهارس.

أما التمهيد فعنوانه: علم مقاصد السور وأثره في التفسير.

وأما الفصل الأول فعنوانه: حول سور آلحمٓ.

وتحته المباحث التالية:

- **المبحث الأول:** الأحاديث الواردة في فضل آلحمٓ.
- **المبحث الثاني:** مكانتها ومنزلتها.
- **المبحث الثالث:** هل يقال آلحمٓ، أو الحواميم.

وأما الفصل الثاني فعنوانه: المقاصد المشتركة بين سور آلحمٓ.

وتحته المباحث التالية:

- **المبحث الأول:** مقصد الحديث عن مسائل العقيدة وأصول الدين.
- **المبحث الثاني:** مقصد الحديث عن القرآن والوحي.
- **المبحث الثالث:** مقصد الحديث عن قصص السابقين من الأنبياء والأمم.
- **المبحث الرابع:** مقصد الحديث عن مصارع الغابرين المكذبين.

وأما الفصل الثالث فعنوانه: تفردات سور آلحمٓ.

ذكرت فيه ما تفردت به كل سورة من آلحمٓ عن الأخرى بشكل موجز.

وقد راعيت الإيجاز والاختصار في البحث، ولم أقصد التتبع والإحاطة، أو الدخول في تعريفات وتفصيلات تخرج بنا عن المقصود، معتمدًا أسلوب كتابة البحث العلمي من عزو الأقوال، وذكر رقم الآية وسورتها، وتخريج الأحاديث والحكم عليها ما أمكن، وتوثيق النصوص، وغير ذلك، حريصًا على الإقلال من النقل، وأن يكون البحث في أغلبه من مصنوعي لا من منقولي، فيا أيها القارئ الكريم.. هذه بضاعتي تعرض عليك، وبنات أفكاري تهدى إليك، فإن صادفت كفؤًا كريمًا فلن تعدم منه إمساكًا بمعروف، أو تسريحًا بإحسان، وإن صادفت غير ذلك فالله المستعان وعليه التكلان(١).

والله المسؤول سبحانه أن يرزقني الإخلاص والقبول والرضى، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه
د. خالد بن علي بن عبدان الغامدي
وكيل كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى، مكة المشرفة

التمهيد
علم مقاصد السور وأثره في التفسير

(١) اقتباس من كلام ابن القيم في مقدمة كتابه روضة المحبين: ص(١٤).

حينما نريد أن نعرف المعنى العام لهذا العلم لا بدّ أن نعرّف الجزئين اللذين يتركب منهما هذا المصطلح، فمقاصد السور مصطلح مركب من "مقاصد" ومفردها "مقصد"، و"السور" ومفردها "سورة" .

و"مقصد" مفعل من "قصد" وهو فعل يدلّ على عدّة معانٍ، منها: استقامة الطريق، والعدل الوسط، وإتيان الشيء، والاعتماد والأَمُّ، يقال: قصدك فلان، إذا توجه إليك وأمَّك(١)، وهذا المعنى الأخير هو الأقرب إلى مرادنا حينما نقول "مقاصد السور".

أما السورة فهي المنزلة الرفيعة من البناء، واستعيرت لسور القرآن، لأن القرآن كالبناء وهذه السور منزلة منه بعد منزلة مقطوعة عن الاخرى(٢)، ومصطلح السورة مصطلح قرآني جاء في عدّة آيات، منها: قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ**﴾ [محمد:٢٠]، وأصبح علمًا على تلك المنزلة التي يصل إليها القارئ ثم ينتقل إلى غيرها محتوية على عدد من الآيات تدور في جملتها على عدة موضوعات.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن المراد بمصطلح "مقاصد السور" هو: إبراز وإظهار الموضوع أو الموضوعات التي تتحدث عنها السورة، وقَصْد ذلك وأَمُّه في استقامةٍ واعتدالٍ، فكل سورة في القرآن طويلة آياتها أم قصيرة لها موضوع أو أكثر يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، وترتب له المقدمات والاستدلالات، وهذا الموضوع هو مقصود السورة وعمادها.

ومن المهم معرفة المقصد للسورة إذ إن معرفته، وتطلّبه يفيد المفسر والقارئ فوائد عظيمة، لأنه سوف يسهل فهم الآيات وتفسيرها، ويعين على معرفة الوحدة الموضوعية لكل سورة مما ينعكس إيجابًا على استنباط المعاني والدلالات.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: (٩٥/٥)، ولسان العرب: (٣٥٣/٣) مادة "قصد".
(٢) انظر: لسان العرب: (٣٨٦/٤) مادة "سور"، وقال ابن جني: « إنما سميت سورة لارتفاع قدرها، لأنها كلام الله ». نقله عنه الزركشي في البرهان: (٢٦٤/١).

ويجعل كلام المفسر عن السورة وآياتها متسقًا معتمدًا على أصول ومنطلقات، فلا يقع في الاضطراب والتناقض، والحيرة، ومعرفة اشتمال السورة على مقاصد متنوعة يعيننا على فهم أسرار التكرار في القرآن، كتكرار القصص وغيرها.

غير أنه ينبغي أن يعلم أن علم مقاصد السور علم لم يتفرغ له السلف المتقدمين تأصيلًا وتعريفًا وتأليفًا، إنما كان يأتي في كلامهم ا لمرة بعد المرة، ربما لشدّة وضوح معاني القرآن ومقاصده في أذهانهم، وهم العرب الفصحاء البلغاء، الذين يفهمون لطائف الكلام الخفية وإشاراته الدقيقة، قبل واضحاته وظواهره، ثم أيضًا لأن هذا العلم مبني على الاجتهاد، والنظر والتأمل، فلم يكونوا يكثرون من الحديث في ذلك خشية الوقوع في الخطأ، أو القول على الله في تفسير كلامه بغير حق.

ولذلك فإن أهم الضوابط في علم مقاصد السور: ألا يتكلف المفسر معنى ليس عليه دليل، فيخوض بحر التخرصات والظنون، ويركب الصعب والذلول، أما إن ظهر للمجتهد المفسر الثقة في السورة مقصدًا مناسبًا، ورأى السورة تدار عليه من أولها إلى آخرها، فلا حرج عليه من التحدث بذلك وإظهاره، لأن هذا العلم فتح رباني يفتحه الله على من يشاء من عباده المخلصين، وهو من فوائد التدبر في كتاب الله، كما حثنا على ذلك ربنا في قوله: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤].

ومن أجل أهمية هذا العلم وفوائده، وخشية اندراس معالمه في القرون المتأخرة كتب فيه العلماء، وحرصوا على إبراز محاسنه وثمراته، فمنهم ابن العربي المالكي ألف فيه كتابًا، لكنه رأى الناس منصرفين عنه فأحرقه(١)، ولشيخ الإسلام ابن تيمية عناية بهذا العلم تصريحًا وتلويحًا(٢)، وللفخر الرازي عناية بذلك في تفسيره(٣)، ومن أشهر المؤلفين

(١) انظر: مقاصد السور وأثرها في التفسير: ص(١٠)، وابن العربي إمام مالكي شهير (ت٥٤٣هـ). الأعلام: (٢٣٠/٦).

(٢) انظر على سبيل المثال: مجموع الفتاوى: (٢٣٧/١٥، ٢٨١)، وشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم، لم ير مثله، (ت٧٢٨هـ). الأعلام: (١٤٤/١)، وقد صدرت له ترجمة موسعة من عمل علي عمران ومشاركيه.

(٣) على سبيل المثال انظر تفسيره: (١١٨/١٦-١١٩)، والرازي هو محمد بن عمر، ابن خطيب الري، من أشهر المتكلمين، (ت٦٠٦هـ). الأعلام: (٣١٣/٦).

في هذا العلم برهان الدين البقاعي المتوفى سنة (٨٨٥هـ) الذي ألف كتابه الشهير "مقاصد النظر للإشراف على مقاصد الآيات والسور" في ثلاث مجلدات مطبوعة[١].

ومن المعاصرين الإمام الطاهر بن عاشور في تفسيره العظيم "التحرير والتنوير" حيث إنه ممن فتح له في هذا العلم[٢]، وللأستاذ سيد قطب في "ظلال القرآن" عناية خاصة بموضوعات السور وأهدافها[٣]، وجملة القول إن علم مقاصد السور من العلوم القرآنية المهمّة التي يفيد منه المفسر والقارئ فوائد عظيمة بعيدًا عن التكلف والتخرّص، وهو علم ما يزال بحاجة إلى مزيد بيان وتأصيل، وتفتيح لأبوابه وتقرير.

(١) حققه الدكتور عبدالسميع محمد أحمد حسنين، وطبعته دار المعارف في الرياض سنة ١٤٠٨هـ.
(٢) انظر على سبيل المثال تفسيره: (١٤/١٥٣-٢١٧)، توفي الطاهر سنة (١٣٩٣هـ)، وقد كان إمامًا جليلًا. الأعلام: (٦/١٧٤).
(٣) انظر على سبيل المثال تفسيره: (٥/٢٩١٨-٣٠٣٣)، توفي الأستاذ سيد سنة (١٣٨٧هـ). انظر: (٣/١٤٧).

الفصل الأول
حول سور آل حم

ويشتمل على ثلاثة مباحث : -

المبحث الأول: الأحاديث الواردة في فضل آل حم.

المبحث الثاني: مكانتها ومنزلتها.

المبحث الثالث: هل يقال آل حم، أو الحواميم؟.

المبحث الأول: الأحاديث الواردة في فضل آل حم

من خلال التتبع وقفت على عدة أحاديث وآثار في فضل هذه السور، أسوقها للقارئ الكريم، مع شيء من الحديث عنها، وهي كالتالي:

١- حديث الخليل بن مرة[١] أن رسول الله ﷺ قال: ((الحواميم سبع، وأبواب جهنم سبع، تجيء كلْ حمٍ منها فتقف على باب من هذه الأبواب، تقول: اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي، ويقرؤني)) [٢].

٢- حديث سمرة بن جندب[٣] عن النبي ﷺ قال: ((الحواميم روضة من رياض الجنة)) [٤].

---

(١) هو الضُّبعي، نزيل الرقة، توفي سنة ١٦٠هـ، من طبقة أتباع التابعين، وقد ضعفه البخاري، وأبو حاتم، وابن حجر. انظر: تهذيب الكمال: (٣٤٢/٨)، والجرح والتعديل: (٣/الترجمة١٧٢٩)، التقريب: ص(٣٠٢).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: (٤٨٥/٢) من طريق الخليل عن النبي ﷺ معضلًا، وقال: « هكذا بلغنا بهذا الإسناد المنقطع » ، فهو إذاً حديث ضعيف.

(٣) سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، صحابي جليل، حليف للأنصار، توفي بالبصرة سنة ٥٨هـ. انظر: الإصابة: (٣٤٧٥/٢).

(٤) ذكره الديلمي في الفردوس: (١٦٠/٢). وأخرجه ابن مردويه في تفسيره، كما ذكر السيوطي في الدر المنثور: (٢٦٩/٧). وهو ضعيف جدًا، انظر: ضعيف الجامع: ص(٤١٢) برقم (٢٨٠١). وفي السلسلة الضعيفة: (٣٢/٨): أن في سنده أبان بن عياش وهو متروك، ومجاعة بن الزبير وهو ضعيف.

٣- حديث معقل بن يسار[١] عن النبي ﷺ : ((أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه، والطواسين[٢] والحواميم من ألواح موسى، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش، والمفصل نافلة)) [٣].

٤- حديث أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني الراءات[٤] إلى الطواسين مكان الإنجيل، وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل، ما قرأهن نبي قبلي))[٥].

٥- حديث ((الحواميم ديباج القرآن)) [٦].

٦- عن ابن مسعود ﷺ قال: ((إذا وقعت في آلحمٓ فقد وقعت في روضات أتأنق فيها)) [٧].

---

(١) هو المزني، صحابي بايع تحت الشجرة، ينسب إليه نهر معقل بالبصرة، توفي بعد الستين. انظر: التقريب: ص(٩٦٠).

(٢) الطواسين هي: السور التي تبدأ بـ"طسم"، و"طس". وهي: سورة الشعراء، والنمل، والقصص.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه: (٥٦١/١)، والبيهقي في الشعب: (٤٨٥/٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق: (١٨٨/٣٧)، كلهم من طريق مكي بن إبراهيم عن عبيدالله بن أبي حميد عن أبي المليح عن معقل به.
وآفته عبيدالله هذا، فإنه متروك، انظر: تهذيب الكمال: (٣١/١٩)، التقريب: ص(٦٣٧).

(٤) الراءات هي السور التي تبدأ بـ"الر" و"المر"، وهي: سورة يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر.

(٥) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور: (٢٦٨/٧)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع: ص(٢٢٤) برقم (١٥٥٦). وذكر علته في السلسلة الضعيفة: (٥١/٧)، وهو خارجة بن مصعب: متروك.

(٦) أخرجه أبو الشيخ في الثواب، وأبو نعيم عن أنس مرفوعًا، كما في الدر المنثور: (٢٦٩/٧)، وحكم عليه الألباني بالوضع في ضعيف الجامع: ص(٤١٢) برقم (٢٨٠٠).
وقد ورد الحديث بهذا اللفظ موقوفًا على ابن مسعود ﷺ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: (١٥٣/٦)، وعبدالرزاق في مصنفه: (٣٨١/٣)، والحاكم في مستدركه: (٣٧٤/٢)، والبيهقي في الشعب: (٤٨٣/٢)، من طريق ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن مسعود .
وهذا إسناد صحيح، والصواب وقفه عليه.
وورد الأثر عن مجاهد، أخرجه عبدالرزاق في مصنفه: (٣٨١/٣) بسند صحيح.

(٧) أخرجه أبو عبيد ومحمد بن نصر وابن المنذر كما في الدر المنثور: (٢٦٨/٧).
وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: (١٥٣/٦) من طريق معن بن عبدالرحمن عن جده عبدالله به، وزاد ((روضات دمثات))، ومعن لم يسمع من جده عبدالله.

٧- وقال ابن عباس: « إن لكل شيء لبابًا، ولباب القرآن آلحمٓ »، أو قال: «الحواميم » (١).

٨- وعن سعد بن إبراهيم(٢) قال: « كن الحواميم يسمين العرائس » (٣).

٩- ومرّ رجلٌ على أبي الدرداء ﷺ وهو يبني مسجدًا، فقال له: « ما هذا؟ فقال: أبنيه من أجل آلحمٓ » (٤).

١٠- وقال ابن مسعود ﷺ : « إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلًا بأثر غيث، فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال: عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب، فقيل له: إن مثل الغيث الأول كمثل عظم القرآن، وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آلحمٓ في القرآن» (٥).

المبحث الثاني: مكانتها ومنزلتها

القرآن العظيم -بجميع سوره- هو الروح، الذي يؤنس المؤمن في رحلته الشاقة في هذه الأرض، وهو النور الذي يضيء جوانب روحه، والمعلم الذي يلقنه ما يتحمل به التبعات، والهادي الذي يبين له معالم الطريق(٦).

ولا ريب أن السلف الصالح -عليهم رضوان الله ورحمته- فهموا هذا الأمر فهمًا دقيقًا، ووعوا هذه القضية وعيًا تامًا، فكان أن جعلوا القرآن كله نبراسًا لهم، وآياته مشعلًا ينير لهم، وحججه قواطع للباطل، ودواحض للزيغ والضلال.

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره: (٧٠/٤)، والبقاعي في مصاعد النظر: (٤٣٦/٢)، والسيوطي في الإتقان: (٤٣٢/٢)، كلهم عن أبي عبيد في الفضائل: ص(٨٤) برقم (٤٨٨)، وأخرجه البغوي في تفسيره بسنده إلى ابن عباس: (١٣٤/٧).

(٢) سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، ثقة فاضل عابد، تولى قضاء المدينة، توفي سنة ١٢٥هـ. انظر: التقريب: ص(٣٦٧).

(٣) أخرجه الدارمي في سننه: (٤٥٨/٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه: (١٥٣/٦)، وسنده حسن.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: (١٥٤/٦)، والحاكم في مستدركه: (٤٧٤/٢)، وفي سنده رجل مجهول.

(٥) أخرجه ابن نصر وابن زنجويه كما في الدر المنثور: (٢٦٨/٧)، وأخرجه البغوي في تفسيره بسنده إلى ابن مسعود: (١٣٤/٧).

(٦) دراسات قرآنية، للشيخ محمد قطب: ص(٤٨٧) بتصرف.

وتلذذ السلف الصالح بالحياة مع القرآن –كلام الله تعالى–، وأحسوا برَوْح الله تعالى تهب عليهم من خلال آيات الكتاب العزيز، ومن أجل ذلك، كان النبي ﷺ يوصي المؤمنين بمداومة تلاوة القرآن، وعدم الانقطاع عنه ألبتة، ليبقوا موصولين بالنور، وليكونوا مرتبطين بربهم على الدوام في كل الأحوال والهيئات.

بيد أن هناك سورًا من القرآن المجيد، قد بهرت الألباب، وأفحمت الفصحاء، وأخرست البلغاء –وإن كان القرآن كله كذلك– ، لكن تميزت تلكم السور بمزيد إعجاز، وبلاغ بيان، وقوة برهان، مع براعة الإيجاز حينًا، والروعة في الطول حينًا، والإبهار في عرض القضايا عرضًا، يأتي عليها من أصولها وجذورها، حينًا آخر.

ومن هذه السور، سور، آلٓ حمٓ عمر الحق، إنها لتستحق كل هذا الفضل، وإنها لجديرة بكل ما وصفت به –كما مر معنا في ذكر الآثار في فضلها– .

ولا أعجب مما تحويه هذه السور العظيمة من حكم وأحكام، فصلت تفصيلًا –وإن كان محلًا للتعجب– لكنما أعجب وأدهش من هذا التناسق المهيب في النزول، والتتابع العجيب في الترتيب، وكأنها عقد تتابعت حبات خرزه وتناسقت في بهاء وروعة.

وإن القارئ لها ليحسب أن نزول كل سورة يتفاوت عن الأخرى زمنًا وموقعًا، بسبب ما تحويه من أحكام وحكم، واختلاف في طريقة العرض للقضايا، وتباين في أساليب تأصيل الأصول الكلية، والقواعد الشرعية، غير أنه حين يعلم أنها نزلت مرتبة كترتيبها في المصحف، ومتناسقة في وقت النزول ومكانه[1]، يقف حائرًا لا ينبس ببنت شفه، وما له إلا الخضوع لعظمة وجلال الإله الذي أنزل هذا القرآن، ﴿**لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً**﴾ [النساء:١٦٦].

(١) حيث إنها نزلت كلها بمكة مرتبة كترتيبها في المصحف. انظر: روح المعاني للألوسي: (٣٩/٢٤/٨)، وبين أن هذا هو قول ابن عباس وجابر بن زيد، وقد اختلف المفسرون في مكان نزول بعض الآيات من سور آل حم، لكنه –إن صح– اختلاف لا يضر في إثبات الأصل العام وهو أن نزول هذه السور كان بمكة مرتبة حسب ترتيبها الحالي.

فلا عجب إذًا أن يسميها السلف بالعرائس، ولا غرو أن يصفوها بأنها روضات دمثات يتأنق القارئ فيها[١]، ولا أبلغ من وصف ابن عباس لهن بأنهن لباب القرآن، أي: خلاصته وصفوته، لأن اللب من كل شيء هو الصفوة والخلاصة المركزة، ولا أجمل من وصف ابن مسعود لهن بأنهن ديباج[٢] القرآن، فكأنه شبه القرآن بثوب جميل قشيب، وجعل آلحمٓ حرير هذا الثوب، الذي به ازدان بهاء، وكمل روعة.

وإنك حين تقرأ هذه السور، متأملًا وفاحصًا، ثم تقلب نظرك في بقية سور القرآن، لتعلم يقينًا آلحمٓ قد حوت أصول الدين، ومعالمه العامة، وأركانه الأساسية، بكلمات قوية، وأساليب متينة متنوعة، ناهيك عن بعض التفردات والمميزات العجيبة، والتي قد لا توجد في القرآن كله -كما سنوضح مستقبلًا بإذن الله-، مما يزيدها ذلك أهمية ومكانة، وعلوًا وارتفاعًا، ولعلنا بذلك أن نفهم بعضًا من أسرار اهتمام السلف الصالح بـ آلحمٓ، وحرصهم عليها أشد الحرص وأبلغه.

المبحث الثالث: هل يقال آل حم، أو الحواميم؟

اختلف العلماء في مسألة: هل يقال سور آلحمٓ،أو الحواميم؟

على قولين:

الأول: أنه لا ينبغي أن يقال "الحواميم"، لأنه جمع لـ"حم" على غير قياس، وهو جمع لا تعرفه العرب، وليس من كلامها[٣].

واستدلّ أصحاب هذا القول بأنه ورد في الآثار، وكلام العرب -ما يدل على أن الجمع يكون بقول "آلحمٓ" فحسب، فلا يتعداه إلى غيره، كقول ابن مسعود: « إذا وقعت في آلحمٓ ... »، وقوله: « آلحمٓ ديباج القرآن » وقد سبق تخريجهما.

وقول الكميت:

وجدنا لكم في آلحمٓ آية .:. تأولها منا تقي ومعرب[١]

(١) قال في النهاية (١٣٢/٢) : « يقال دمث المكان دمثًا: إذا لان وسهل ». مادة "دمث"، وقال (٧٦/١) في معنى يتأنق: « أي أعجب بهن، وأستلذ قراءتهن ».
(٢) الديباج هو: الثياب المتخذة من الإبريم. انظر: لسان العرب: (٢٦٢/٢) مادة "دبج"، و الإبريم هو الحرير.
(٣) ذكر هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير: (٢٠٤/٧) ونسبه إلى أبي عبيد والفراء وأبي منصور.

فالأولى أن يقال "آلحمٓ" أو "ذوات حم"، وقال في البحر المحيط: « فإن صح من لفظ الرسول ﷺ أنه قال: "الحواميم" كان حجة على من منع ذلك، وإن كان نقل بالمعنى أمكن أني كون من تحريف الأعاجم، ألا ترى لفظ ابن مسعود ((إذا وقعت في آلحمٓ))، وقول الكميت: وجدنا لكم في...»[٢].

قلت: لم يصح هذا اللفظ عن رسول الله ﷺ كما سبق.

القول الثاني: أنه لا مانع من أن تقول: "قرأت الحواميم"، أو تقول: "قرأت آلحمٓ"، وذلك لأن كلًا من اللفظين قد وردا في الآثار وكلام العرب.

فمن ذلك قول سعد بن إبراهيم: « كن الحواميم يسمين العرائس » -وقد سبق.

وقول ابن عباس: ((ولباب القرآن الحواميم)) .

وقال الشاعر:

وبالحواميم اللواتي سُبِّعت .:. وبالمفصل اللواتي فُصِّلت[٣]

وقال الدارمي[٤] في سننه: « باب في فضل حم والدخان والحواميم والمسبحات »[٥].

وفي فتح الباري: « أن حم جمعت على الحواميم » [٦].

وانتصر لهذا القول: صديق حسن خان[٧] في فتح البيان، فقال: « هذه السور السبع تسمى بالحواميم، و آلحمٓ، ذوات حم، فلها جموع ثلاثة، خلافًا لمن أنكر الأول

(١) المصدر السابق، والبيت في اللسان: (٥٨٩/١) مادة "عرب".
(٢) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٤٤٧/٧).
(٣) زاد المسير: (٢٠٤/٧).
(٤) هو عثمان بن سعيد الدارمي، الإمام العلامة الحافظ الناقد، ولد قبل المئتين بيسير، وبرع في علم الحديث وعلله، توفي ~ سنة ٢٨٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: (٣١٩/١٣-٣٢٦).
(٥) السنن: (٤٥٨/٢) كتاب فضائل القرآن.
(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر: (٤١٧/٨).
(٧) هو محمد صديق خان بن حسن بن علي النجاري القنوجي، أبو الطيب، ولد سنة ١٢٤٨هـ، في قنوج بالهند، وتعلم في دهلي، وسافر إلى بهوبال لطلب المعيشة، ففاز بثروة عظيمة، تزوج بملكة بهوبال، ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر، وله نيف وستون مصنفاً بالعربية والفارسية والهندوسية، توفي ~ سنة ١٣٠٧هـ. انظر: الأعلام: (١٦٧/٦).

منها[1]، ولعلّ هذا القول –في نظري– هو الصواب، لوجود الأدلة الدالة على جواز كل من هذه الجموع الثلاثة، وحجج المانعين غير قوية.

فمن قال "آلٓحمٓ" فقد جعل "حم" علمًا لكل السور، ومن قال "الحواميم" فقد جعل "حم" كأنه حرف واحد، واسم معين لكل سورة، بمنزلة قابيل وهابيل، ومن قال "ذوات حم" فالمعنى: السور صواحبات، البدء بـ"حم"، فلا حرج في استعمال هذه الجموع، ولله الحمد، والله أعلم.

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن له: (٢٥٩/٨).

الفصل الثاني
المقاصد المشتركة بين سور آل حم

ويشتمل على أربعة مباحث : -

المبحث الأول: مقصد الحديث عن مسائل العقيدة وأصول الدين.

المبحث الثاني: مقصد الحديث عن القرآن والوحي.

المبحث الثالث: مقصد الحديث عن قصص السابقين من الأنبياء والأمم.

المبحث الرابع: مقصد الحديث عن مصارع الغابرين المكذبين.

إن من أعظم إعجاز هذا القرآن المجيد، إبرازه للمقاصد والمعاني العظيمة، في قوالب مختلفة، وأساليب متنوعة، كلها تصب في معين معيَّن، لكي تبلّغ أمرًا، وترسخ مقصدًا، ولعل الذي يبهر العقول، ويدهش القلوب، هو أن هذه المقاصد المتنوعة في أساليب عرضها، تكون غالبًا مشتركة متكررة في سور القرآن، فيزيد القرآن بتكرارها وعرضها المتنوع تأصيلًا في النفوس المؤمنة، وتنبيها إلى الدقائق ا لخفية، والمعاني الجليلة.

والمقاصد المشتركة التي عرضها القرآن في "آلٓحمٓ" كثيرة متنوعة، منها ما يتصل بأمور العقائد، ومنها ما يتصل بقصص الأمم الغابرة، ومنها ما يتصل بعرض مصارع المكذبين ونهايتهم الأليمة، وغير ذلك.

ونبدأ بذكر أجل تلكم المقاصد، وأعظمها في المبحث التالي..

المبحث الأول: مقصد الحديث عن مسائل العقيدة وأصول الدين

وقد كان هذا المقصد هو الغالب في سور آلٓحمٓ، وهو الغالب كذلك في القرآن كله، ذلك لأن العقيدة والتوحيد وأصول الدين، هي الأسس الأصيلة لإسلام، والإيمان، وهي الأعمدة المتينة الثابتة لهذا الدين العظيم.

ومما يدل على أهمية العقيدة، وأصول الدين، أن النبي ﷺ -في حديث جبريل المشهور- ، قد سماها دينًا، وعدّها أسسًا أصيلة لقيام بناء هذا الدين، فقال ﷺ : ((هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم)) (١).

وقد عرضت سور "آلحمٓ" هذا المقصد الجليل، بعبارات متنوعة شتى، وأساليب قوية محكمة أوجزها في المطالب التالية:

المطلب الأول: وحدانية الله تعالى، وانفراده بالعبادة:

توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة، لب هذا الدين، وسرّ القرآن المبين.

وسور "آلحمٓ" عرضت هذه القضية بشيء من التنويع والتفصيل:

*فتارة بأن وحدانية الله تعالى، وألوهيته، واستحقاقه للعبادة، أمر مسلم في الوجود كله، مغروز في جميع الفطر، لا ينازع فيه عاقل، فهو أمر مقرر ثابت، ولو لم تنحرف فطر البشر، وتفسد عقولهم، وتجتالهم الشياطين، لم يكن الأمر في حاجة إلى ضرب أمثلة، والإتيان بالأدلة الدالة على استحقاق الله تعالى بذلك، لأنه تعالى « منفرد بالألوهية والعبادة بما له من أسماء حسنى، وصفات عليا، التي لا يكون إلهًا إلا من اتصف بها، والله -جل ثناؤه- قد اختص بالكمال والجلال في كل شيء، فثبتت ألوهيته المطلقة، وعبوديته العامّة » (٢).

يقول تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ [غافر:٣]، أي: لا نظير له في جميع صفاته، فلا إله غيره، ولا رب سواه(٣).

ويقول سبحانه: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر:٦٢]، فهو الذي خلقكم، وكل شيء، وهو الله ربكم الذي لا إله إلا هو، أفلا يستحق أن يعبد؟ فكيف تُصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره؟ فبدائه العقول منافية تمامًا لمثل هذا، فضلًا عن مسلماتها ويقينياتها.

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام، عن أبي هريرة رقم (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، عن ابن عمر رقم (٧)، وغيرهما.

(٢) انظر: دعوة التوحيد، للشيخ الهراس: ص(٣٩).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: (٧١/٤).

ويقول: ﴿هُوَ الحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [غافر:٦٥].

وفي قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ [الشورى:١٥] إعلان بالربوبية المطلقة، المستلزمة للألوهية لله تعالى وحده، فهو رب المؤمنين، والكافرين، وإلههم، وهي حقيقة قطعية، ويقين ثابت مقرر في الفِطر، والمؤمنون مؤمنون بربهم ا ختيارًا، وغيرهم إن لم يؤمنوا به اختيارًا فله يسجد ويعبد من في العالمين كلهم طوعًا وإجبارًا(١).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ﴾ [الزخرف:٨٤]، تقرير آخر لألوهية ربنا سبحانه، وأن ألوهيته أمر ثابت مسلم في السموات، ومعلوم يقينًا وقطعًا في الأرض، فهو معبود ومألوه في السموات والأرض، وكل أهلها خاضعون له أذلاء طوعًا وكرهًا.

وقوله تعالى: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ [الدخان:٨]، استدلال على الألوهية ولزومها لله سبحانه، بلزوم الموت والحياة للبشر وأنه لا يقدر على ذلك إلا من يستحق العبادة والألوهية.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف:٨٧]، هذا الجواب منهم مطابق للفطرة السليمة تمامًا، لأنهم لم يقولوا في إجابتهم: الرب، أو ربنا، بل قالوا: الله، وهذا الاسم علم على الذات الإلهية، وهو بمعنى مألوه، أي: معبود، ولذلك كان تعقيب الله تعالى لهذا السؤال وإجابته بقوله: ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾، أي: كيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره؟

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًا، لا يسع المقام لاستقصائها.

وتارة تأتي الآيات بالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ ما سواه، وأنه مادام أنه الإله الرب الخالق، فهو المستحق للعبادة دون غيره، فليعبد إذًا وحده.

(١) انظر: الظلال: (٢٧٨/٧)، وتفسير ابن كثير: (١١٠/٤).

يقول تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾ [غافر:١٤]، والمعنى: «أخلصوا لله وحده العبادة والدعاء، وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم»(١).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]، أي: اعبدوني وادعوني وحدي، فإن فعلتم استجبت لكم، وإن لم تفعلوا واستكبرتم عن عبادتي، فسأدخلكم جهنم صاغرين حقيرين.

وقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت:٦]، ومعنى ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: « أخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على ألسنة رسله » (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧]، وذكر السجود بالأمر لأنه أخص صفات العبودية والتذلل، وإن كان المقصود هو العبادة كلها بطبيعة الحال.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف:٦٤].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وتارة بتبكيت من يدعو غير الله، وإنكار ذلك عليه، والتنديد بما يتخذونه من آلهة من دون الله تعالى، وإظهار حالها من العجز الشنيع، والفقر البالغ، والغفلة عمن يدعوها ويفزع إليها، وكذلك التشنيع بحال العابدين لهذه الآلهة الباطلة ورميهم بالضلال والسفه، حيث رضوا لأنفسهم أن يعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا، ثم تصوير ما سيكون يوم القيامة بين العابدين والمعبودين، وبين الأتباع والمتبوعين من التبرؤ، والمعاداة، وتنصل المعبودين من جناية هؤلاء العابدين، وإنكار أن يكون لهم يد في إضلالهم وشركهم(٣). وبالجملة سوف يتبرأ المعبود بالباطل من عابده يوم القيامة، ولا بدّ.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾

(١) تفسير ابن كثير: (٧٤/٤).
(٢) انظر: المصدر السابق: (٩٣/٤).
(٣) انظر: دعوة التوحيد: ص(٣٥، ٣٧، ٣٨).

[غافر:٦٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [فصلت:٩].

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ، وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت:٤٧-٤٨]، بيان أن المشركين سوف يتبرؤون من الشرك والكفر، ولكنهم لن ينتفعوا من هذا التبرؤ في يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الشورى:٦]، تهديد شديد، ووعيد أكيد للمشركين، لأن الذي تركوا عبادته إلى غيره، حفيظ عليهم، وعلى أعمالهم، يحصيها، ويعدها عدًا، وسيجزيهم بها.

وقوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٩]، وهذا إنكار من الله تعالى على المشركين في اتخاذهم آلهة من دونه، مخبرًا أنه هو الولي الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، فإنه القادر على إحياء الموتى . (١)

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ، وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف:٤-٦].

بيان وسائل مناظرة أهل الباطل والمشركين وغيرهم، وتعليم الرسول ﷺ ، والمؤمنين بعده الطريقة الصحيحة في كبت أهل الضلال، وقهرهم بالحجج العقلية والنقلية(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَاناً آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف:٢٨]، بيان بأنهم خذلوهم أحوج ما يكونون إليهم، وضلت الآلهة، وذهبت ولم تنفع المشركين، فهلا نصرتهم؟

(١) تفسير ابن كثير: (١٠٩/٤).
(٢) انظر: تفسير السعدي: ص(٧٧٩)، وتيسير العزيز الحميد: ص(٢٣٩)، ففيهما شيء من التفصيل.

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ومما يدلنا على ذلك قوله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ، تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى العَزِيزِ الغَفَّارِ، لاَ جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ المُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر:٤١-٤٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت:٦]، بيان أن اعتقاد ألوهية الله تعالى وعبادته، هو لب الوحي الذي أوحي إلي، وصميم الرسالة التي أرسلت بها، وهي دعوة المرسلين قبلي، وقد أوحي إليهم مثل ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٥]، دليل على أن المشركين ليس لهم مستند في شركهم مع الله تعالى، لا من عقل صحيح، ولا نقل عن الرسل.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف:٩]، أي: قل لهم يا محمد إني لست بأول رسول يجيئكم يدعوكم إلى عبادة الله وحده، فقد وُجد قبلي من دعا إلى مثل ما دعوت إليه، وتقدم قبلي من الأنبياء والمرسلين كُثُر، فلم تنكرون دعوتي؟! ولأي شيء تمانعون؟!.

*وتارة بعرض نعم الله تعالى في الكون، وآلائه الجسيمة، وخيراته العظيمة، ثم ينبههم إلى أن هذا كله هو خلق الله تعالى، الذي هو ربكم ورب آبائكم الأولين، فليس من نعمة حصلت عليه إلا وهي من الله سببًا ووجودًا، وليس من خير جاءكم إلا وهو خارج من خزائن ربكم، وأنتم تقرون بهذا كله، وتعترفون، فلماذا تصرفون وجوهكم إلى غيره؟!، ومن أجل ماذا تحنون ظهوركم لغير جلاله وعظمته ؟!.

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ﴾ [غافر:١٣].

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت:٩-١١].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الجَوَارِ فِي البَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾ [الشورى:٣٢]، وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المُوتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:٣٩]. ومعنى قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أي: من آياته وعلاماته الدالة على وحدانيته وربوبيته، وأنه المستحق للعبادة.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ، وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف:١٠-١٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ، وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ، وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية:٣-٥].

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ البَحْرَ لِتَجْرِيَ الفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:١٢-١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

المطلب الثاني: الحديث عن اليوم الآخر، ومشاهد القيامة:

قد كثرت الآيات في الحديث عن اليوم الآخر في القرآن كله، وليس فقط في "آلٓحمٓ"، وما ذاك إلا لما له من الأهمية البالغة جدًا في حياة المسلم، فهو من أشد العوامل المهمّة في تربية المسلم، وانضباطه، والتزامه بالعمل الصالح، وبعده عن

الانحراف وما أصاب المسلمين من ذل وهوان وتبعية إنما كان بسبب غلبة الحياة المادية، والأغراض الآنية على كثير من العقول والأفئدة، ولذلك ورد ذكر الآخرة ومشاهد القيامة في سور "آلحمٓ" في آيات كثيرة، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو العَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ، يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ، الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ اليَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ، وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾ [غافر:١٥-١٨]. فمن أجلِّ مهمة الرسل الإنذار بقرب يوم التلاق، الذي هو يوم يلتقي فيه الأولون والآخرون بأهل السماء وبخالقهم، والإنذار بيوم الآزفة، وهو يوم القيامة، وسمي كذلك لقربه، إذ كل ما هو آتٍ فهو قريب.

وقوله تعالى -على لسان مؤمن آل فرعون، يذكِّر قومه- : ﴿**مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ**﴾ [غافر:٣٢]، ويوم التناد: هو يوم القيامة، حين ينادي أهل الجنة أهل النار ﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [الأعراف:٤٤].

وقوله تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ القَرَارِ**﴾ [غافر:٣٩].

وهاك -أخي القارئ- مشهدًا من مشاهد يوم القيامة، تشيب لمثله الولدان، وتتفطر منه القلوب، ﴿**الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ، إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ، فِي الحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**﴾ [غافر:٧٠-٧٢]، جزاء مهيب، ومصير مؤلم.

وتصوِّر آية أخرى أمرًا مفزعًا، يحصل في داخل النار بين أهلها، ألا وهو محاجة بعضهم لبعض، وتنديد كبرائهم لضعفائهم، وبالعكس، ﴿**وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ النَّارِ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العِبَادِ**﴾ [غافر:٤٧-٤٨].

ومشهد العصاة مع جوارحهم في قوله: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت:١٩-٢٢].

وتتعرض سورة فصلت لأول مراحل الآخرة، وهو مشهد الاحتضار، وتنزل الملائكة عند دنو الأجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ [فصلت:٤٧]، قول فصل، وحكم قاطع لوقت قيام الساعة على التحديد، وأنه موكول تحديده للعليم الخبير، لا غير، وحين قدم سبحانه المعمول على العامل أفاد ذلك اختصاص العليم الخبير، بوقتها وحالها، وأنه لا يشركه فيها أحد ألبتة.

ثم يرد سبحانه على أولئك الذي يمارون في الساعة وثبوتها، ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ، يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ أَلاَ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى:١٧-١٨].

وفي سورة الزخرف صيحة رهيبة، دوَّت في الآفاق، وقطعت القلوب، بأن ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ المُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]، فيوم القيامة هو يوم تقطع المودات، وذهاب المحبات، إلا محبة المتقين بعضهم لبعض خالصة لله.

ثم يعرض السياق مصير الفريقين، فريق الهدى، وفريق الضلال، ﴿يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ، يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف:٦٨-٧٣]. وعلى الطريقة القرآنية الفريدة، ثنى بذكر مصير الفريق

الآخر، فقال: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ، وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف:٧٤-٧٦].

وفي سورة الدخان تأكيد بليغ لما تقدم في سورة الزخرف، من أن الأحباب سوف يعادي بعضهم بعضًا، ويلعن أحدهم صاحبه، إلا المتقين الذين رحمهم الله تعالى، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ، يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ، إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الدخان:٤٠-٤٢]، ثم تذكر السورة كذلك مصير فريق الهدى، وفريق الضلال، وتُختم بها السورة.

وتعرض سورة الأحقاف مشهدًا فظيعًا مخيفًا، ألا وهو توبيخ الكافرين والفاسقين، وتبكيتهم، حينما يدخلون النار بأنهم قد استمتعوا بطيباتهم في الدنيا واستحلوها، فليس لهم اليوم إلا عذاب المهانة والذلّ، لفسقهم وتكبرهم عن آيات الله تعالى، ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف:٢٠].

المطلب الثالث: عرض لأدلة البعث وإحياء الموتى، والرد على المنكرين:

من أجل مقاصد سور "آلحمٓ" الاستدلال على حتمية البعث، والرد على المنكرين وتهديدهم وإخبارهم أن لهم العذاب الأليم، وقد جاء هذا المعنى في آيات كثيرة، فمن ذلك:

قوله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِياً لِّتُنذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧].

ومن رحمة الله تعالى بعباده -ومنهم المنكرون- أن بين لهم بأساليب عدّة، وأدلة متنوعة، ثبوت وقوع هذا اليوم، وخوَّفهم وأنذرهم، وأكّده، وفصَّله، حتى يقيم عليهم الحجة، ولا يبقى لهم عذرًا، فقال ﷻ: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧].

ودليل آخر يقرّره ربنا ﷻ على هذا الأمر، وهو ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المُوتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:٣٩].

ويؤكّد سبحانه هذا الدليل، ويزيده تقريرًا، في قوله: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف:١١].

فنبّه بإحياء البلدة الميتة ونشرها، على إحياء البشر ونشرهم من قبورهم، وأنهم كذلك يخرجون، وهذا قياس بديع.

ويقول ﷻ : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ المَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف:٣٣].

ويردّ سبحانه على أهل العناد والإنكار بأبلغ ردّ وأجلّه، ولا يملك المعاندون أمام قواطع القرآن إلا السكوت، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ، إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ، فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [الدخان:٣٤-٣٧].

ويأتي الدهريون فينكرون البعث والنشور فيأتيهم الرد الحاسم القاطع، ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:٢٦].

ثم إن هؤلاء المنكرين للبعث إذا قالت لهم الرسل والصالحون: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ رَيْبَ﴾، ولا شك في وقوعها، فأعدوا لهذا الأمر عدّته، واستغلوا كل فرصة ممكنة قبل فواتها، لووا رؤوسهم، ونخروا فقالوا: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَناً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية:٣٢].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

المطلب الرابع: الحديث عن الرسل والرسالات:

إن الإيمان بالرسل أصل عظيم من أصول الدين، لا يكون الإنسان مؤمنًا أبدًا وهو يكذب برسول واحد، أو يشكك في نبي، ولذلك جاءت الآيات في سور "آلحٰمٓ" تؤكد هذه الحقائق، وتزيدها جلاء ووضوحًا.

فبيَّن ﷻ أن كل الرسل قد بارزتهم أممهم بالعداوة الظاهرة والباطنة، وهمّت كل الأمم بلا استثناء بأخذ نبيها ورسولها فيقتلوه، **﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾** [غافر:٥].

وكذلك حصل مع نبينا محمد ﷺ ، ولذلك أمر الله سبحانه بالصبر، **﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ القَوْمُ الفَاسِقُونَ﴾** [الأحقاف:٣٥].

ويزول عجبنا من اتفاق الأمم على معاداة الرسل حين نعلم أن تلك سنة ربانية، حكم الله تعالى بها، وحكمه نافذ، **﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ، وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ، فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ﴾** [الزخرف:٦-٨].

ويبيّن ﷻ وظيفة الرسول ﷺ وهي البلاغ المبين، وهي بالطبع وظيفة الرسل كلهم، وأن عليه -لتأدية هذه الوظيفة- أن يتحلى بالصبر والمصابرة، حتى يبلغ رسالات ربه كلها، ويؤدي الأمانة المنوطة به.

قال تعالى: **﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ القَوْمُ الفَاسِقُونَ﴾** [الأحقاف:٣٥].

وقد بينت آية الشورى من هم أولوا العزم، فقال تعالى: **﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى المُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾** [الشورى:١٣].

ويذكر جل وعلا دليلًا قاطعًا على صدق نبوة محمد ﷺ بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الشورى:٢٤]، وبقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلاَ تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف:٨]، والمعنى: لو كذبت عليه وزعمت أنه أرسلني والأمر ليس كذلك لعاقبني أشد العقوبة، ولم يقدر أحد من أهل الأرض لا أنتم ولا غيركم أن يجيرني منه.

المطلب الخامس: الحديث عن الملائكة وأعمالهم:

الملائكة جمع ملك، وهو: « جسم لطيف نوراني يتشكل بأشكال مختلفة » [(١)].

والملائكة عالم عجيب، من أجلّ وأعظم مخلوقات الله جل وعلا، وهم من الآيات الدالة على عظم قدرة الله تعالى، وجلالة حكمته، وبديع خلقته، وقد تحدثت "آلٓحٰمٓ" عن بعض أعمال هؤلاء الملائكة، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٧].

فمن أجل أعمال الملائكة تسبيح الله تعالى وتحميده وتمجيده، كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلاَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى:٥].

ومن أهم أعمال الملائكة: أنها تتنزل على المؤمنين أولياء الله تعالى عند حضور أجلهم، وعند قيامهم من قبورهم، تبشرهم وتثبتهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

وذكر ﷻ أن الملائكة يعبدون الله تعالى وحده على الدوام، بدون ملل، أو فتور، أو إعراض، فهي عبادة دائمة لا تنقطع، ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لاَ﴾ [فصلت:٣٨].

(١) التعريفات للجرجاني: ص(٢٢٩).

وفي الظلال أن الذين عند الله تعالى قد يكونون هم الملائكة، وقد يكون غيرهم كالعباد المقربين مثلًا(١)، والذي يظهر أن الذين عند ربك، المذكورين في الآية هم الملائكة، بدليل أنه قد جاء المقصود موضحًا في قوله تعالى: ﴿**وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ**﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠]، وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾ [الأعراف:٢٠٦] (٢).

وتبيّن سورة الدخان مشهدًا آخر لعمل من أعمال الملائكة: ﴿**خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الجَحِيمِ، ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الحَمِيمِ**﴾ [الدخان:٤٧-٤٨].

نسأل الله العافية والسلامة.

وأرى أن الحديث عن هذا المقصد قد طال فأكتفي بما ذكر لأنتقل إلى مقصد آخر في المبحث التالي..

المبحث الثاني: مقصد الحديث عن القرآن والوحي

اتفقت أوائل "آلٓحٰمٓ" على البداءة بالحديث عن القرآن، وأن الذي أوحى إليك هذا القرآن هو نفسه الذي أوحى إلى من كان قبلك، فكل سورة من "آلٓحٰمٓ" تبدأ بالحرف المقطع، ثم يتلو ذلك الحديث عن القرآن، وأنه من تنزيل العزيز العليم، العزيز الحكيم، الرحمن الرحيم.

يقول تعالى: ﴿**حم، تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ، غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ**﴾ [غافر:١-٣].

وقد أشارت هذه الآيات الثلاث إلى جميع ما يشتمل عليه القرآن من المطالب العالية والمقاصد الشريفة في عبارة موجزة بليغة(٣).

(١) انظر: الظلال: (٢٤٤/٧).
(٢) انظر: أضواء البيان للعلامة الشنقيطي: (١٣٨/٧). ومما يؤكد أن الذين عند ربك في الآية هم الملائكة، قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿**وَجَعَلُوا المَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**﴾ [١٩].
(٣) انظر: تفسير السعدي: ص(٧٣١) ففيه تفصيل ذلك.

وفي صدر سورة فصلت بيان أن آياته مفصلات، واضحات، تفصل بين كل الأشياء وتميز الحقائق بكلام عربي مبين.

وسورة الشورى محورها الأساس، ومرتكزها الذي ركزت عليه كثيراً، هو الحديث عن القرآن والوحي، ومصدره ومنبعه، وقضية التشريع الإلهي، المنزل في هذا القرآن، ووحدة المصدر، ووحدة التلقي.

وفي سورة الزخرف يقسم الله بالقرآن على أنه نزله بلسان عربي مبين ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [الزخرف:٣].

ويبين سبحانه في سورة الدخان الزمن الذي أنزل فيه هذا القرآن فقال: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ**﴾ [الدخان:٣]، وهي ليلة القدر.

فأنزل سبحانه أفضل الكلام، في أفضل الليالي، على أفضل الرسل، بأفضل لغة على وجه الأرض، فاجتمع الخير كله، والمجد من أطرافه، في هذا الكتاب المبين لكل يحتاج إليه العباد.

ومن صور حديث "آلحمٓ" عن القرآن، وصفه بأوصاف عظيمة جليلة، تدل على مقاصده، وأهدافه، والتي أنزل من أجلها، فمن ذلك، قوله: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الشورى:٥٢]، فسماه تعالى روحًا، يحي به القلوب الميتة، ويسري في النفوس فتحيا، وسماه نورًا، يشعّ في الأفئدة والعقول، فيضيء لها الطريق، ويصحح لها مسارها.

وقوله: ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ، وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ**﴾ [الزخرف:٤٣-٤٤]، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يتمسك بهذا القرآن، فإن فعل فهو مستعلٍ بالصراط المستقيم، وبشره بأن هذا القرآن ذكر وشرف وعزّة لك ولقومك، ولكل المؤمنين به في كل زمان.

وذكر سبحانه مرتبة هذا القرآن ومنزلته عنده فقال: ﴿**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الزخرف:٤]، فوصفه بأنه علي حكيم.

ويذكر سبحانه وضعًا آخر لهذا القرآن، فيقول: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية:٢٠]، فالقرآن كله بصائر، تبصر العقول والقول بالطريق، وتنيره للسالكين، وهو الهدى التام، والرحمة الكاملة لكل من يوقن بأن القرآن كذلك، أما من كان في قلبه شك فلن يكون له القرآن هاديًا، ولا شافيًا، بل هو عليه عمى، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِياً لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت:٤٤].

ويصف سبحانه القرآن بأنه كتاب عزيز، منيع الجناب، ليس للبطلان والتكذيب إليه سبيل ألبتة[1]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ، لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤١-٤٢].

ومن أجل هذا كله لم تستطع الجن أن تغلب تأثير القرآن العظيم، ونطقت ألسنتهم بعبارات التمجيد لهذا الكلام العجيب، ويظهر هذا جليًا في قصة سماع الجن للقرآن من النبي ﷺ ، وحينها: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ، قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ، يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣١].

وتعرض "آل حم" حالة المشركين والكفار مع هذا القرآن المعجز، وأنها حالة الاستكبار والإعراض، يقول تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ [فصلت:٥].

ويكشف القرآن خوف المشركين وهلعهم منه، ولذلك حاربوا ومانعوا، لما أدركوا عظم تأثيره في القلوب، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا القُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦].

وهذا القرآن وإن كفر به المشركون، وكذب به المعاندون فهو حق، ليس فيه أدنى ريب وشك لمن يعقل، ودع كفار قريش يكفروا به، فقد آمن به كثيرون، ومنهم شاهد بني

(١) انظر: تفسير القرطبي: (٢٣٩/١٥).

إسرائيل، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف:١٠].

ويزيد ربنا جل وعلا هذا المعنى وضوحًا في قوله: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ، سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٢-٥٣].

فهم قد كفروا به مع أنه من عند الله حقًا، ولذا هل هناك من هو أضل منهم؟ أم هل هناك من يبلغ قدرهم في الشقاق البعيد؟ ومع ذلك سوف يري الله البشر كلهم آياته الأفقية والنفسية حتى يعلموا أنه الحق بلا ريب ولا مرية.

ويتوعد ربنا جل وعزّ أولئك الكافرين بالآيات، وتهددهم بالعقاب الأليم، ﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [الجاثية:١١].

وحديث سور "آلحمٓ" عن القرآن حديث بليغ معجز، وفيما ذكر كفاية.

المبحث الثالث: مقصد الحديث عن قصص السابقين من الأنبياء والأمم

عرضت سور "آلحمٓ" خمس قصص من قصص الأنبياء مع أقوامهم، وهي: قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه، وقصة هود عليه السلام مع قومه عاد، وقصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود، وقصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، واختلفت أساليب العرض، وتنوعت طرق القص، مما يبهر العقول، ويدهش الأفئدة.

ولقد تكرر عرض قصة موسى عليه السلام مع فرعون ثلاث مرات، ففي غافر أخذت حيزًا كبيرًا من السورة من الآية (٢٣) إلى (٤٦)، ومحورها الأساسي إبراز موقف الطغيان والعداء أمام دعوة الحقّ، وأساليب المجرمين في الكيد والمكر والإجرام ضد المؤمنين أصحاب الحق، وأن هذه سنة كونية في كل جيل وعصر.

وسورة الزخرف عرضت قصة موسى عليه السلام من الآية (٤٦) إلى (٥٦)، وعرضتها بشيء من الإجمال، وهي هنا تبرز اعتزاز فرعون الطاغية، وكل من جاء بعده ممن كان على شاكلته، بهذه الدنيا وزخارفها، وافتخارهم بمثل تلك القيم الزائفة، وبمثل تلك المعايير والموازين الهشة، وبيان هوان ذلك كله عند الله تعالى وتفاهته، فلا الذهب ينفع، ولا

الأنهار ولا الملك يغني عند الله تعالى شيئًا، ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف:٥١].

وسورة الدخان تحدثت عن قصة موسى عليه السلام بأسلوب آخر، ووجه آخر، فقد ركزت السورة على أن إرسال الرسل فتنة لأقوامهم، وابتلاء ومحنة، فإن آمنوا بهم فهو خير لهم، وإن لم يؤمنوا فسيكون مصيرهم كمصير فرعون وقومه حين كذبوا نبيهم فأغرقهم الله تعالى، وصرعهم في البحر العظيم، والذي كان فرعون يفتخر به وبالأنهار أنها تجري من تحته.

وحين نلاحظ في أساليب العرض، نجد أن هذه القصة قد أوردتها كل سورة بأسلوب خاص، وتحدثت عنها من جهة وناحية معينة، وذكرت غافر ما لم تذكره الزخرف والعكس بالعكس، وذلك كله بحسب المحيط العام، والجو الشامل، والهدف الأساس لكل سورة من تلك السور.

وقصة هود عليه السلام مع قومه عاد، تحدثت عنها سورة فصلت والأحقاف، وكلًا من السورتين عرضت القصة بسياق مختلف، ومحور معين، للوصول إلى هدف محدد.

ففي فصلت كان الحديث متصلًا بالرد على المشركين في كفرهم وتكذيبهم واستكبارهم، واتبع هذا بقصة خلق السموات والأرض، وأنهما طائعتان لله تعالى غير مستكبرتين، ثم جاء التهديد لهم بأنهم إن لم يرجعوا ويتوبوا فسيرسل عليهم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، لأن عادًا استكبروا في الأرض، مثلكم يا كفار مكة، وزعموا أنه لا أحد أقوى منهم، بعد أن حذرهم رسولهم وأنكر عليهم فلم يستمعوا، فأهلكهم الله تعالى، فهل اعتبرتم يا كفار قريش؟!.

وسياق هذه القصة هنا فيه من القوة والرهبة والتهديد، ما يناسب حال أولئك الذين يدّعون أنه لا أحد أقوى منهم.

وأما في الأحقاف فقد اختلف السياق، وبدا فيه أسلوب الأخذ والرد، والحوار، بين هود وقومه، ومحاولة هود في قومه أن يؤمنوا، فلما استكبروا وأعرضوا أهلكهم الله تعالى، وذكر هنا طريقة إهلاكهم، وهي أنهم رأوا سحابًا فظنوا أنهم سيمطرون بعد القحط الذي أصابهم، ولكنهم فوجئوا بريح فيها عذاب أليم، استمرت أيامًا ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف:٢٥].

وتحدثت سورة فصلت عن قصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود، وذلك بإجمال، وكان المقصود منها إعلان النذير على قريش، وتحذيرهم، بأن مصيرهم سيكون كمصير ثمود الذين كذبوا، حيث إن ثمود لما أعرضوا واستكبروا واستحبوا العمى على الهدى، أرسل الله تعالى عليهم عذابه، صاعقة عظيمة، وصيحة رهيبة، فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

وأما قصة إبراهيم عليه السلام فقد ذكرتها سورة الزخرف باختصار، وكان المقصود من ذلك: إبراز انخلاع إبراهيم عليه السلام من كل مظاهر العبودية، إلا لله وحده، وإعلان البراءة من كل المشركين ومعبوداتهم، ولو كانوا آبائهم أو عشيرتهم، وفي هذا تنبيه لكفار قريش بأن ما فعله محمد ﷺ ليس بدعًا من الرسل، بل إن له مثيلًا وسابقًا من الأمم.

المبحث الرابع: مقصد الحديث عن مصارع الغابرين المكذبين

في الحديث عن مصارع المكذبين، وعرض نهايتهم الأليمة، تذكيرٌ للغافل، وتنبيه للاهي، وتثبيت للمؤمن، وإبرازٌ لجوانب مهمّة من صفات الله تعالى مثل: العزة، والحكمة، والقدرة، والقوة، والقهر والإحاطة، وسرعة الانتقام، وشدّة العقاب، إلى غير ذلك.

ولقد ذكرت سور "آل حم" عدّة مشاهد، لبعض مصارع الغابرين من الأمم المكذبة للرسل، فمن ذلك، قوله تعالى: **﴿قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾** [غافر:٥].

وبيّن سبحانه مصرع المكذبين من قوم عاد حينما كذبوا برسولهم هود عليه السلام ، فقال: **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ﴾** [فصلت:١٦]، والريح الصرصر هي: الريح الشديدة الهبوب المتصفة بالبرودة الشديدة والصوت العظيم المزعج(١).

ثم أعقب ذلك الحديث عن مصرع المكذبين من قوم صالح عليه السلام : **﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ العَذَابِ الهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [فصلت:١٧]، والمعنى: أخذتهم صيحة ورجفة، وأصابهم ذلّ وهوان وعذاب ونكال من الله تعالى (٢).

(١) تفسير ابن كثير: (٩٦/٤).
(٢) المصدر السابق: (٩٦/٤) بتصرف.

وأخبر سبحانه أنه أهلك المكذبين بالرسل، وبطش بهم عن بكرة أبيهم منذ عهد نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ **﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ، وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ، فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ﴾** [الزخرف:٦-٨].

وذكرت سورة الدخان مصرع فرعون وجنده، حينما تبعوا موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين في قوله ﷻ : **﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ، وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾** [الدخان:٢٣-٢٤]، ومعنى **رَهْواً**: أي ساكنًا منفرجًا.

وعرضت سورة الأحقاف مشهد إهلاك قوم صالح بأسلوب عجيب، **﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ، تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ﴾** [الأحقاف:٢٤-٢٥]، وقد ذكر ربنا -تبارك وتعالى- الحكمة من عرض مصارع الغابرين فقال: **﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ القُرَى وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** [الأحقاف:٢٧]، ولعلهم يذكرون، فيهتدون، ويتوبون إلى بارئهم سبحانه.

هذه بعض المقاصد المشتركة بين سور "آلٓحمٓ" ذكرتها بحسب ما ظهر لي منها، ولا أدعي الإحاطة والكمال، ويحسن بنا الآن أن ننتقل لبيان التفردات التي اختصّت بها كل سورة من "آلٓحمٓ" ليظهر لنا نوع آخر من إعجاز هذه السور المباركة.

الفصل الثالث
تفردات سور "آل حم"

مما يزيد "آلٓحمٓ" روعة وجلالًا أن في كل سورة من سورها يُذكر أمر، وتُعرض قضية، لا توجد في سورة من سور "آلٓحمٓ" الأخرى، بل وأحيانًا ينبه إلى أمر عظيم، ولا تجد هذا التنبيه في القرآن كله، أو تجده بأسلوب آخر غير الذي في "آلٓحمٓ"، وهذا من صور إعجاز هذه السور المباركة.

***فمما تفردت به سورة غافر عن غيرها:** أنها أوردت قصة مؤمن آل فرعون، وكيف أنه واجه الطغيان الفرعوني بقوة إيمانه بالله تعالى وتوكّله عليه، وصدع بالحق ولم يبال في مجتمع كافر حاقد، ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر:٢٨].

وهذه القصة لم يرد ذكرها بين سور "آلٓحٰمٓ" إلا في هذه السورة، بل لم يرد لها ذكر في القرآن كله عدا هذا الموضع، ولعمر الحق إنها لمليئة بالعبر والعظات، ولكن لبسط ذلك موضع آخر.

***ومن تفردات سورة غافر:** أنها ذكرت دليلًا عظيمًا من أدلة أهل السنة على إثبات عذاب القبر، وهو دليل صريح، واضح الدلالة، وهو قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِياً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

وقد كان أبو هريرة ﷺ إذا أصبح نادى: « أصبحنا والحمد لله، وعرض آل فرعون على النار »، وإذا أمسى نادى: « أمسينا والحمد لله، وعرض آل فرعون على النار » (١).

في الصحيحين عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة » (٢).

***ومن تفردات سورة غافر:** أنها ذكرت شيئًا من مراحل خلق الإنسان وتطوراته، من التراب إلى أن يصبح شيخًا، وبينت أن بعضهم قد يموت وهو طفل، وبعضهم يبلغ فوق ذلك، والكل سيبلغ أجله الذي قد قدره الله تعالى عليه، يقول تعالى: ﴿هَوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر:٦٧].

***ومما تفردت به سورة غافر:** ذكرها للزمن الذي بعث فيه موسى عليه السلام وأنه بعد زمان يوسف عليه السلام ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ

(١) انظر: تفسير القرطبي: (٢٠٨/١٥)، وتفسير ابن كثير: (٨٣/٤)، وقد ذكر الزمخشري في الكشاف: (٤٣/٣) أنه يستدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي: (٢٨٦/٣) الفتح، حديث رقم (١٣٧٩). ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، (٢١٩٩/٤)، حديث رقم (٢٨٦٦).

مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر:٣٤].

إلى غير ذلك من تفردات سورة غافر.

***ومن تفردات سورة فصلت:** أنها ذكرت أن جوارح الإنسان الفاجر تتكلم يوم القيامة وتنطق، وتشهد عليه بما فعل، وأن الإنسان يجادل جوارحه، ويلومها ويعاتبها، قال تعالى: **﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** [فصلت:٢٠-٢١].

***ومما تفردت به سورة فصلت:** ذكرها لمدة خلق الأرض وتقدير ما فيها، قال تعالى: **﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾** [فصلت:١٠]، ثم ذكرها لمدة خلق السموات، قال تعالى: **﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾** [فصلت:١٢].

ومما تفردت به سورة فصلت: ذكرها لحالة الإنسان حين الابتلاء بالخير والشر، قال تعالى: **﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾** [فصلت:٥١]. وغير ذلك.

ومما تفردت به سورة الشورى: أنها ابتدأت بحروف مقطعة لا توجد في غيرها من "آلحمٓ"، بل في القرآن كله، وهي قوله: **﴿عسق﴾** [الشورى:٢].

ومما تفردت به سورة الشورى: ذكرها للشورى التي هي من أعظم آداب الإسلام وأخلاقه التي تكفل الحياة السعيدة الهانئة للأمة، وتحفظ طاقات الأمة وقدراتها ومواهبها، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾** [الشورى:٣٨].

ومما تفردت به سورة الشورى: أنها ذكرت قاعدة عظيمة جليلة في الأسماء والصفات، وهي قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

ومما تفردت به سورة الشورى: أنها ذكرت حالات الوحي الثلاثة، فإن الله تعالى لا يكلم أحدًا من خلقه –اختاره واصطفاه– إلا بواحدة من طرق ثلاثة:

- إما أن يوحي إليه فيقذف في روعه شيئًا، لا يتمارى فيه أنه من الله تعالى، كما قال ﷺ : ((إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تمون حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)) (١).
- أو من وراء حجاب، كما كلّم موسى ومحمدًا –عليهما الصلاة والسلام– .
- أو يرسل رسولًا فيوحي بإذنه ما يشاء، كما ينزل جبريل عليه السلام ، وغيره من الملائكة على الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– (٢).

ومما تفردت به سورة الزخرف: أنها نبهت على وجود عقائد فاسدة، وأفكار باطلة عند البشر، وعرضت بعضًا من تلك الاعتقادات الفاسدة، وردت عليها وأبطلها. يقول تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ، أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ، وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَداً وَهُوَ كَظِيمٌ، أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ، وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:١٥-١٩].

فذكرت هذه الآيات عقيدة نسبة الولد إلى الله تعالى، وأن الملائكة بنات الله – تعالى الله عن ذلك وتقدّس– ثم كرّت عليها كالسيل الهادر فأبطلتها، ونسفتها من أصلها.

وذكرت السورة أيضًا: قضية احتجاج الكفار بمشيئة الله وقدره على كفرهم وعبادتهم غيره سبحانه قال تعالى ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾، وجاء الردّ عليهم سريعًا: ﴿ مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف:٢٠].

---

(١) الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة: (٢٧/١٠). وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: (٧٩/٧). والبيهقي في الشعب: (٢٩٩/٧) عن ابن مسعود. وهو حديث صحيح.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: (١٢٢/٤).

ومما تفرد به سورة الزخرف: ذكرها لاسم خازن النار، قال تعالى: ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ**﴾ [الزخرف:٧٧]، ولم يرد اسمه في القرآن إلا هنا.

***ومما تفردت به سورة الزخرف:** ذكرها أن عيسى -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- علامة من علامات الساعة، وآية من آياتها، التي إذا حصلت فالساعة على إثرها قريبًا، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**﴾ [الزخرف:٦١].

والضمير في قوله: ﴿**وَإِنَّه**﴾ يعود إلى عيسى عليه السلام على القول الصحيح.

ومما تفردت به سورة الزخرف: ذكرها للورد المشروع الذي يقوله العبد إذا ركب مركوبه، قال تعالى: ﴿**لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ**﴾ [الزخرف:١٣-١٤].

ومما تفردت به سورة الدخان: أنها بينت أن القرآن أنزل في ليلة كثيرة الخيرات والبركات، فها يفصل ويفرق كل أمر ذي حكمة بالغة، ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، أَمْراً مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ**﴾ [الدخان: ٣-٥]، وهذه الليلة هي ليلة القدر، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ**﴾ [القدر:١].

ومما تفردت به سورة الدخان: أنها أمرت بارتقاب الدخان العظيم الذي يغشى الناس ويغطيهم، ﴿**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ**﴾ [الدخان:١٠].

وقد اختلف السلف في هذا الدخان، هل قد مضى؟ أم لم يأت بعد؟. على قولين اثنين أقربهما إلى الصواب أنه لم يأت بعد، وهو من علامات الساعة [(١)].

ومما تفردت به سورة الدخان: أنها ذكرت طعام أهل النار -أجارنا الله منها بمنّه وكرمه- وهو الزقوم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الأَثِيمِ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ**﴾ [الدخان:٤٣-٤٥].

(١) انظر: تفسير القرطبي: (٨٧/١٦)، وتفسير ابن كثير: (١٣٩/٤).

ومما تفردت به سورة الجاثية: أنها ذكرت أن هذه الشريعة ناسخة ومهيمنة على جميع الشرائع السابقة، وأمر الله تعالى فيها نبينا محمدًا ﷺ بأن يتبع هذه الشريعة الكاملة، وألا يلتفت إلى ما سواها، ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الجاثية:١٨].

ومما تفردت به سورة الجاثية: أنها ذكرت حالة الأمم يوم القيامة، وأن كل أمة تجثوا على ركبها من الشدة والهول، وقد قيل: إن الأمم إنما تجثوا على ركبها حينما يُجاء بجهنم، فإنها تزفر زفرة، لا يبقى أحد إلا جثا لركبته، حتى إبراهيم الخليل عليه السلام[(١)]، قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ، وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾

[الجاثية:٢٧-٢٨].

ومما تفردت به سورة الأحقاف: الوصية بالوالدين، وبيان حالة الوالدة في وقت الحمل، وأنها تعيش أصعب أوقاتها، وأتعب أيامها، فهي تحمل الولد، وتتقلب به من كره إلى كره، وترتقي به الصعاب تلو الصعاب، قال تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأحقاف:١٥]، والآية ذكرت أن مدّة الحمل والإرضاع سنتان وستة أشهر، قال ابن عباس: « إذا وضعت المرأة لتسعة أشهر كفاه من الرضاع واحد وعشرون شهرًا، وإذا وضعته لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهرًا، وإذا وضعته لستة أشهر فحولين كاملين، لأن الله تعالى يقول: ﴿ **وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً** ﴾[(٢)].

***ومما تفردت به سورة الأحقاف:** ذكرها لشاهد بني إسرائيل الذي شهد بأن القرآن حق وآمن به[(٣)]، قال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾

(١) انظر: الكشاف: (٥١٣/٣)، وتفسير ابن كثير: (١٥٢/٤).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: (١٥٨/٤).
(٣) وهو عبدالله بن سلام. انظر: تفسير ابن كثير: (١٥٥/٤).

[الأحقاف:١٠].

ومما تفردت به سورة الأحقاف: ذكرها لاستماع الجن للقرآن الكريم، وإعجابهم الشديد به، ثم انصرافهم إلى قولهم منذرين وداعين إلى الله تعالى، قال ﷻ : **﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ، قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ، يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾** [الأحقاف:٢٩-٣٢].

والمكان الذي سمع فيه الجن القرآن من النبي ﷺ هو وادي نخلة[١]، والرسول ﷺ قائم يصلي بأصحابه صلاة الفجر.

(١) وادي نخلة: مكان بين مكة والطائف، على بعد ليلة من مكة. انظر: الفتح: (٥٤٢/٨).
ويسمى بـ"نخلة اليمانية"، وهو المكان الذي عسكرت به هوازن يوم غزوة حنين. انظر: معجم البلدان: (٢٧٧/٥).

خاتمة البحث

هذا آخر ما تيسّر لي جمعه في هذا الموضوع، كتبته على قلّة البضاعة، وكثرة الشواغل، ولست أزعم كماله، ولا قريبًا من ذلك، لكن حسبي أني اجتهدت، فما أصبت فمن الله، وما أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله بريئان من ذلك. وقد خرجت من هذا البحث المتواضع بفوائد جمة، أذكر منها:

- لقد كانت سور "آلحمٓ" حلقة مترابطة في كثير من الحقائق، والأصول، والأهداف، متناسقة تناسقًا عجيبًا في الترتيب والنزول، فهي بحق روضة عطرة دمثة، من رياض القرآن العظيم.
- اشتركت سور "آلحمٓ" في مقاصد كثيرة، أهمها مقصد الحديث عن الألوهية والعبودية والاستدلال لذلك، وقد شغل هذا المقصد حيزًا كبيرًا من الآيات، لأهميته وجلالته.
- وكذلك كثر الحديث في سور "آلحمٓ" عن الآخرة، وتقرير البعث والنشور، وأن هناك يومًا سيتلقي فيها الخلائق كلهم بخالقهم ليجازيهم بأعمالهم، وتنوعت أساليب الاستدلال والتقرير لهذا اليوم المشهود.
- من عجائب سور "آلحمٓ" التفردات التي اختصت بها كل سورة عن الأخرى، بل إن بعض هذه التفردات لا توجد في بقية سور القرآن.

وختامًا.. أشكر الله سبحانه شكرًا عظيمًا على تيسيره وتوفيقه، وأسأله سبحانه التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كان الفراغ منه في ليلة الأحد

التاسع عشر من شهر صفر لعام سبعة وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية عند الساعة الثانية عشرة ليلًا

ثبت المصادر والمراجع

١) الإتقان في علوم القرآن: الحافظ السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: د. مصطفى البغا، ط/دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ.

٢) الإصابة في معرفة الصحابة: الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٨٢هـ)، ط/دار الكتب العلمية.

٣) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: للعلامة محمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، ط/دار عالم الكتب.

٤) الأعلام: خير الدين الزركلي، ط/دار العلم للملايين، ١٩٩٢م.

٥) البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي، ط/دار الفكر.

٦) البدر الزاهر في القراءات العشر المتواترة: عبدالفتاح القاضي (ت١٤٠٣هـ)، ط/دار الكتاب العربي.

٧) البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، ت: محمد أبو الفضل، ط/المكتبة العصرية.

٨) تاريخ دمشق: للحافظ ابن عساكر (ت٥٧١هـ)، طبع دار الفكر، ١٩٩٥م.

٩) التحرير والتنوير: للعلامة الطاهر بن عاشور، ط/دار حسنون للنشر.

١٠) تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: د.إبراهيم البنا، طبع دار ابن حزم.

١١) التعريفات: علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، طبع دار الكتاب العربي.

١٢) التقريب: الحافظ ابن حجر (ت٨٨٢هـ)، تحقيق: أبي الأشبال شاغف، ط/دار العاصمة.

١٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال: الحافظ المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق: د.بشار عواد، طبع مؤسسة الرسالة.

١٤) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد: سليمان بن محمد بن عبدالوهاب، ط/عالم الكتب.

١٥) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن: لابن سعدي، ت: عبدالرحمن اللويحق، ط/مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

١٦) الجامع لأحكام القرآن: الإمام أبي عبدالله القرطبي، طبع دار الكتب العلمية.

١٧) الجرح والتعديل: للحافظ أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، طبع دار إحياء التراث.

١٨) حلية الأولياء: الحافظ أبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، طبع دار الكتاب العربي.

١٩) دراسات قرآنية: محمد قطب، طبع دار الشروق.

٢٠) الدر المنثور: الحافظ السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر.

٢١) دعوة التوحيد: محمد خليل الهراس، ط/دار الكتب العلمية، الأولى.

٢٢) روح المعاني: للعلامة الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، دار الفكر.

٢٣) روضة المحبين: للإمام ابن القيم (ت٧٥١هـ)، طبع دار الكتب العلمية.

٢٤) زاد المسير في علم التفسير: للإمام ابن الجوزي، طبع المكتب الإسلامي.

٢٥) سنن الدارمي: للحافظ عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي (ت٢٥٥هـ)، دار الفكر.

٢٦) سير أعلام النبلاء: الحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ)، طبع مؤسسة الرسالة، بإشراف شعيب الأرناؤوط.

٢٧) شعب الإيمان: الحافظ أبي بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية.

٢٨) صحيح البخاري: الإمام أبي عبدالله البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار ابن كثير.

٢٩) صحيح مسلم: الإمام أبي الحجاج مسلم القشيري (ت٢٦١هـ)، دار إحياء التراث.

٣٠) ضعيف الجامع الصغير: العلامة محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢١هـ)، طبع المكتب الإسلامي.

٣١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: للحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، دار الحديث.

٣٢) فتح البيان لمقاصد القرآن: صديق حسن خان، ط/دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.

٣٣) الفردوس بمأثور الخطاب: للديلمي (ت٥٠٩هـ)، تحقيق: السعيد بسيوني، طبع دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.

٣٤) في ظلال القرآن: سيد قطب، طبع دار الشروق.

٣٥) الكشاف: جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، طبع البابي الحلبي.

٣٦) لسان العرب: لابن منظور (ت٧١١هـ)، طبع دار صادر.

٣٧) المستدرك: الحافظ الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، طبع دار المعرفة.

٣٨) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد الآيات والسور: برهان الدين البقاعي (ت٨٨٥هـ)، تحقيق: د.عبدالسميع محمد أحمد، طبع دار المعارف، الرياض، ١٤٠٨هـ.

٣٩) المصنف: لابن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ)، مكتبة الرشد.

٤٠) المصنف: عبدالرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ)، طبع المكتب الإسلامي.

٤١) معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن سعود البغوي (ت٥١٦هـ)، طبع دار طيبة.

٤٢) معجم البلدان: ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، دار الفكر.

٤٣) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس (ت٣٩٥هـ)، طبع دار الجيل.

٤٤) مفاتيح الغيب: الفخر الرازي (ت٦٠٤هـ)، طبع دار الفكر.

٤٥) مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير: محاضرة علمية مفرغة للشيخ صالح آل الشيخ.

٤٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، طبع المكتبة العلمية، تحقيق: طاهر الزواوي، محمود الطناحي.

فهرس الموضوعات

مقدمة البحث .....**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
التمهيد: علم مقاصد السور وأثره في التفسير ٤٨٢
الفصل الأول: حول سور آلحمٓ ٤٨٧
المبحث الأول: الأحاديث الواردة في فضل آلحمٓ .....**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
المبحث الثاني: مكانتها ومنزلتها .....**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
المبحث الثالث: هل يقال آلحمٓ، أو الحواميم؟ .....**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
الفصل الثاني: المقاصد المشتركة بين سور آلحمٓ ٤٩٥
المبحث الأول: مقصد الحديث عن مسائل العقيدة وأصول الدين .....**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
-المطلب الأول: وحدانية الله تعالى، وانفراده بالعبادة: ٤٩٦
-المطلب الثاني: الحديث عن اليوم الآخر، ومشاهد القيامة: ٥٠٢
-المطلب الثالث: عرض لأدلة البعث وإحياء الموتى، والرد على المنكرين: ٥٠٤
-المطلب الرابع: الحديث عن الرسل والرسالات: ٥٠٦
-المطلب الخامس: الحديث عن الملائكة وأعمالهم: ٥٠٧
المبحث الثاني: مقصد الحديث عن القرآن والوحي ٥٠٨
المبحث الثالث: مقصد الحديث عن قصص السابقين من الأنبياء والأمم..**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
المبحث الرابع: مقصد الحديث عن مصارع الغابرين المكذبين .....**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
الفصل الثالث: تفردات سور "آلحمٓ" ٥١٤
خاتمة البحث .....**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
ثبت المصادر والمراجع .....**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
فهرس الموضوعات .....**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**